# الفصل الثاني

١ ـ معنى الصلة لغة واصطلاحاً.

٢ ـ مرحلة التفكير العقائدي عند العرب.

٣ ـ الغاية من هذه الصلة.

# ١ ـ معنى الصلة بالله تعالى

## تعريف الصلة:

**الصلة:**

١ ـ هي العلاقة الجامعة بين شيئين.

٢ـ وهي الربط. تقول مثلاً: ربطت الحبل، أي وصلته. إذا عَقَدْت طرفيه مع بعضهما البعض.

وبناء على ذلك تقول: وَصَلَ يَصِلُ صِلَةً، ومنها: الوِصَالُ. وهو بمعنى: اللقاء.

٣ ـ واللقاء يكون عادة بعد الهجران، أو بعد طول الفراق.

وأصل كلمة (الصلة) من :وصل، يصل صلةً، ومنه: الصِّلَةُ أيضاً. كالعِدَةِ من الفعل (وَعَدَ). فقلبت (واو) وصل. وهي (فاء) الكلمة: تاءً في آخرها، ومثل: (الهِبَةُ) من (وَهَبَ). (والجِدَةُ) من (وَجَدَ).

فإذا علمت هذا، فاعلم أن الوجود الحقيقي إنما هو لذات الله عزّ وجل، وهو أثر لصفاته، وبأن الله تعالى قريب من كل شيء، وهو أقرب إليك من حبل الوريد، وهو السميع الذي لا يَعْزُبُ عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، يسمع الحيتان في أعماق البحار، ويدرك حركاتِ الرمل في قاعها، ودبيبَ النمل على الصخور الملساء. وفي ثنايا الجحور في الليلة الظلماء. ويعلم ما تُكِنُّهُ وما تخفيه الصدور، قدّر سبحانه وتعالى كل شيء، وأحكمه صنعاً، وأبدعه تصويراً، وكساه رونقاً وجمالاً. وأحاط بكل شيء علماً، وليس كمثله شيء.

وإذا رأينا هذا اتضح لنا كُنْهُ الصلةِ بين الله تعالى وبين أحباب الله، من خلال استعراضنا للآيات التالية من كتاب الله، ومنها مثلاً، قوله تعالى:

﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ ـ المائدة: الآية / ٥٤ / .

﴿ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّه ﴾ ـ البينة: الآية / ٨ / .

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ـ الفاتحة، الآيتان / ٥، ٦ / .

﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ ـ الطلاق الآية: / ٣ / .

﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ـ الأنفال، الآية: / ٤٩ / .

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ ﴾ ـ البقرة: الآية: / ١٥٢ /

﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾ ـ الأعراف الآية: / ٢٠٥ / .

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ ـ الرعد، الآية / ٢٨ / .

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ـ النساء الآية / ١١٠ / .

﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم

﴿ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ـ الأعراف . الآية / ١٥٦ / .

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ ـ الحديد الآية / ٤ / .

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ(١) اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ـ الأعراف . الآية / ٥٦ /

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ ـ البقرة: الآية / ١٦٥ / .

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ . البقرة . الآية / ١٨٦ / .

وغير ذلك كثير . وكثير جداً . فقد وجدنا أن القرآن الكريم، يذكر كثيراً من الألفاظ المشعرة بصلة خاصة بين الله تبارك وتعالى، وعبده الإنسان . فمن هذه الألفاظ مثلاً : الحب، والرضا ، والخشية ، والذكر ، والشكر، . والرحمة، والتفضل من الله بالإنعام والرزق . . . إلخ . كلها صلات وثيقة العرى، قويمة السبل بين الخالق والمخلوق، والمعبودِ والعابدِ، والمُنْعِمِ والمُنْعَمِ عليه، والرازق والمرزوق، والمحمود والحامد، وخالق الأسباب ومقدّرها والمعتمد المتوكل، والمحسن المثيب والعبد لله الراجي رحمة ربه، والمُعَاقِبِ المُعَذِّبِ والعبد الخائف، والغَفَّارِ والمُسْتَغْفِرِ والمُسْتَرْحَمِ. والرحمنِ الرحيمِ، والراضي والمرضيِّ عنه، . . والمحبوبِ والمحبِّ . . وهكذا.

وقد أردنا أن نستخرج هذه الصلات التي نص عليها القرآن الكريم، والتي حَمَلَنَا على الشعور بها ورددها كثيراً ، ويقصد منها ـ والله أعلم بما أراد ـ إشعارنا بها، ولَفْتَ نظرنا إليها، وتنميتَها وتقويتَها في نفوسنا.

---

(١) تكتب كلمة ( رَحْمَتَ ) بالتاء المفتوحة. حسب قواعد خط النسخ العربي الذي كتب به القرآن الكريم. وتكتب نفس الكلمة: ( رَحْمَةَ ) بالتاء المربوطة حسب قواعد الخط الرقعي العربي ايضاً. وكلتا الكتابتين صحيحة إملاء. ولهذا احببت ان الفت انتباه بعض القراء ممن ليست لهم دراية بالخطوط العربية.

وكذلك إذا استعرضنا أحاديث النبي ﷺ الذي قال عن الإحسان:

«أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»(١).

وهذا يفيدنا أن الإنسان المستقيم في حياته، في أقواله وأفعاله ـ كما أمره الله تعالى ـ يبقى دائم الصلة مع ربه. لأنه موقن أن الله تبارك وتعالى مطّلع عليه في خفية وجلية، ومدرك لكل حركاته وسكناته.

لذا يجب على المسلم أن يكون مراقباً لله في كل أعماله، ومعتدلاً في تكاليفه، لأن لنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، فهو الذي يقول: «فوالله إني لأخشاكم لله وأحفظكم لحدوده»(٢). بعد أن أوضح عليه الصلاة والسلام: أن الرهبانية لم تكتب علينا.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خِمَاصاً، وترجع بِطَانَاً»(٣).

إن المؤمن الصادق كلما تعمق في التفكير في آلاء الله، وأجال النظر في هذا الكون الفسيح ازداد إيماناً بقدرة الخالق عز وجل. وكلما ازداد إيماناً كان أقوى صلة بربه وأقرب وصولاً اليه سبحانه وتعالى.

فمن الواجب على كل إنسان، أن يكون لسانه ذاكراً لله، وقلبه شاكراً لأنعمه التي لا تُعدُّ ولا تحصى.

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها، لما كانت ليلة من الليالي، قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة:

---

(١) حديث نبوي. رواه البخاري. (٢) حديث نبوي صحيح.

(٣) رواه الترمذي والحاكم وصححاه من حديث عمرو.

« ذريني أتعبد الليلة لربي ». فقلت : والله إني لأحب قربك وأحب ما يسرك وإني أحب أن تعبد ربك.

قالت : فقام إلى القِرْبَة وتطهر، ثم قام يصلي فبكى ( أي بعد انتهائه من الصلاة )، قالت : فلم يزل يبكي حتى بَلَّ حِجْرَهُ. قالت : ثم كان جالساً فلم يزل يبكي حتى بلَّ لحيته. قالت : ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بلَّ الأرض. فجاءه بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي ، قال : يارسول الله، لِمَ تَبْكِ؟ وقد غُفِرَ لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال : وَيْحَكَ يا بلال ، وما يمنعني أن أبكي.

ثم قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً. لقد نزلت عليَّ الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها (١).

يقول الله تعالى :

**﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاف اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾(٢).**

---

( ١ ) صحيح مسلم: كتاب الصلاة: ٢ / ١٨١ . من رواية عطاء وابن عمر، وعبيد بن غمير عن عائشة، وكذلك جاء في تفسير : ابن كثير. الجزء الثاني . ص / ١٦٤ /.

( ٢ ) سورة: آل عمران . الآيات : / ١٩٠ - ١٩٤ / .

فالله جلَّ جلاله قد عوَّدنا دائماً بره وإحسانه، وأمرنا بحبه وحب رسوله الكريم. فقال عليه الصلاة والسلام: «أَحِبُّوا الله لِمَا يُغْذِيكُمْ به من نعمة، وأحبوني بحُبِّ الله».

فينتج عن هذه الصلة بين الله سبحانه وبين عباده صِلَةٌ وثيقةٌ لا تنفصم. لذا نقول:

١ ـ إذا أحب الله عبداً ابتلاه في كل شيء واختبره. وأمره بالصبر.

٢ ـ وإذا صبر ظفر برضاء الله.

٣ ـ وإذا ظفر بالرضا. اجتباه وأعانه، واصطفاه.

٤ ـ وإذا اصطفاه قرَّبه منه سبحانه وتعالى. فأصبح هذا العبد من المقربين المصطفين الأخيار. ومن الواصلين بإذن الله.

ولقد حدثتنا كتب السِّيَرِ عن الفهم الجيد ـ لدى الصحابة الكرام ـ رضوان الله عليهم جميعاً لمعنى هذه الصلة، أن المسلم كائن حي، قوي ونشيط. عامل ومجاهد، لا يعرف الوهن في نفسه. ولا الكسل في جسده وروحه، يعطي جسمه وروحه حقهما المشروع، ولا يعذبهما أو يحرمهما باسم الورع والتقوى المشوهين، اللذين ما أنزل الله بهما من سلطان، كما يفعله بعض الجهلة وأدعياء التَّدين، وأهل البِدَعِ والضلالات من متأسلمي هذه الأيام.

وانظر يا قارئي الكريم، من نافذة التاريخ، واسمعْ لصوته الحق ما رواه عن السيدة عائشة رضي الله عنها، أنها رأت رجلاً مُتَمَاوِتَاً، والناس تَرْمُقُهُ لشدة ضعفه، فسألت: (مالَه؟ قالوا لها: هذا رجل زاهد. فاستنكرت رضى الله عنها هذا النوع من الزهد، وهو المعروف اليوم بالنُّسْكِ الأعجمي ـ فقالت: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ أزهدَ الناس. فكان إذا قال أسمعْ، وإذا

مشى أسرعْ، وإذا ضربَ أوجع ).

فكان الأصحاب ـ رضوان الله عليهم ـ يغتنمون كل فرصة، ويستفيدون من كل مناسبة في سبيل الحصول على رضاء الله. فكانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، وبالأسحار هم يستغفرون. وهذا ( معاذ بن جبل ) رضي الله عنه يقول: ( ليس يتحسَّر أهل الجنة على شيء. إلا على ساعة مرّت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها ). وقال أحد العلماء : ( متى رضيتَ بالله وكيلاً، وجدت إلى خَيْرٍ سبيلاً ).

## فائدة هذه الصلة في الحياة الاجتماعية:

لهذه الصلة فوائدها العظيمة في حياة الناس الاجتماعية، فهي التي تمهد لهم سبل السعادة في المجتمع، فتجعل منهم أناساً فضلاء كرماء، كزرع خصيب في أرض طيبة، تؤتي أُكُلَهَا بإذن الله أضعافاً كثيرة، والناس في مثل هذا المجتمع الفاضل، هم في الحقيقة، نجوم هداية وموعظة وإرشاد، ودعاة حق وعقيدة. قد تفتحت آفاق مداركهم، واتسع مجال تفكيرهم، وتنورت بصائرهم، فأصبحوا يضيؤون للبشرية دروب الحياة المظلمة، ويقودون الناس على صراط الله المستقيم، إلى حيث الخير، ومنزل الهداية، ومنهل العلم، ومصدر النور.

فالصلة بالله بشكلها الصحيح هي التي تجعل الإنسان زكي النفس، سامي الروح، طاهرالقلب، مستقيماً في حياته على النهج القويم، بلا التواء أو انحراف، أو تشويه، أو خداع. وتجعله أيضاً حسنَ العشْرَةِ مع أهله، ومع الناس. حسن المعاملة معهم، ممتثلاً لأوامر الله آمراً بها، ومُجتنباً لنواهيه، ناهياً عنها.

فإذا ما سمت أخلاقه، وحسنت سيرته، ابتعد عن كل نقص، وكل رذيلة.

فأصبح وكأنه الزجاجة التي تضيء في صفائها ولطافتها كل ما حولها.

وفي مقابل ذلك: فقد يكون الإنسان بعيداً عن ربه، معرضاً عنه، جاحداً لفضله وإنعامه. وهنا يمكننا أن نتساءل ونقول في مثل هذه الحالة:

**ماهي أسباب البعد عن الله؟**

وإذا ما تساءلنا عن الأسباب التي يكون فيها أحد الناس بعيداً عن ربّه، ولماذا لم تكن هناك صلة وثيقة، أو تقريب واصطفاء، نجد أن ذلك الإنسان:

١ ـ قد امتلأ قلبه بحب الدنيا الفانية.

٢ ـ وسيطرت نفسه الأمارة بالسوء على عقله، وامتلكت شهواته، وأهواء نفسه فتغلبت عليه.

٣ ـ صار الحُكْمُ ـ عند مثل هذا الإنسان ـ للنفس والمادة والجسد. وهذا يؤدي حتماً، وبشكل لايقبل الجدل إلى أسوأ الحالات منها مثلاً:

ـ أ ـ أنه يصبح سيئ الفعل في كثير من الأشياء إن لم نقل جميعها، وأنه ذو كلمة هابطة، وقد كَثُرَ لَغَطُهُ فكثر غَلَطُهُ.

ب ـ يكون دائم التقصير مع خالقه. بعد أن طغت عليه الشهوة، وتوهم الشر خيراً.

ج ـ تراه في النهاية يتصف بسوء الأدب، فمن كان سيئ الأدب، قبيح الفعل، فكيف نتصور منه أن يكون قريباً من ربه. وهو على هذه الحال؟

**إذن، فكيف يكون الإنسان قريباً من ربه؟**

لا شك أن الله تعالى هو الذي يمتنّ على عبده بهذا القرب، تفضلاً منه وكرماً فيصطفيه من بين عباده، ويقربه إليه. بعد أن يصفي طبائعه من صفاتها

الكثيفة، ويحمي شخصه من رعونات النفس، فيزكيها. وبعد أن يرتفع الحجاب عن عين قلبه، ويصبح من اهل القرب إلى الله. والوصول إليه، سبحانه وتعالى.

عندها: يصبح الإنسان في درجة من النقاوة والصفاء، وفي مرحلة من القرب والوصول. وقد تطهر قلبه من الشهوات والأهواء والأدران. وتزكت نفسه، فأصبحت مطمئنة راضية مرضية. فصفا عقله من كل فكر دخيل فسما محلِّقاً في التفكير بمظاهر صنع خالقه الذي خلق هذا الكون العجيب، وفي قدرته العظيمة، التي أحكمت نظامه، يفكر في الأرض وما دحاها، كما يفكر في النفس البشرية وما سوّاها، فألهمها فجورها وتقواها، ثم كيف أن السماء قد رُفِعَتْ بغير عمد ترونها. وأن البحار قد سخرت لخدمة الإنسان، كما أن العيون والأنهار قد فجرت لينتفع بها.

**فضل القرآن الكريم على الإنسان في التوعية والتوجيه:**

لذلك فالقرآن الكريم قد وسَّع مدارك الإنسان، وأمر بوجوب التفكر والتأمل في نفسه في قوله عز من قائل: ﴿ **وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ** ﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿ **فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝٧ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ** ﴾(٢).

كما أمره سبحانه أن يجول بفكره في آلاء الله، وينظرَ في بديع صنع الخالق العظيم، في هذا الكون الكبير، فقال عزّ من قائل: ﴿ **قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ** ﴾ (٣)

وقال أيضاً في محكم تنزيله: ﴿ **أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ** ﴾(٤)

(١) سورة: الذاريات. الآية رقم / ٢١ / . (٢) سورة: الطارق. الآيات: / ٥ ـ ٨ / .
(٣) سورة: يونس. الآية: / ١٠١ / . (٤) سورة: الاعراف. الآية: / ١٨٥ / .

وقال سبحانه

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاف اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَات لأُوْلِي الأَلْبَاب (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(١).

**من هو الله؟:**

فهل يريد الناس، كل الناس: مؤمنهم وكافرهم، طائعهم وعاصيهم، عالمهم وجاهلهم. أن يعرفوا ربهم؟ ومن هو الله تبارك وتعالى؟ وكأن لسان حال العقلاء يقول: نعم.

فنقول له إذن: تعال معي ـ يا قارئي الكريم ـ نتلو معاً، وبكل أدب وخشوع لله بعضاً من آيات الله في كتابه العزيز: فنبدأ قائلين:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٩٥) فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧) وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (٩٨) وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ

(١) سورة: آل عمران. الآيات: / ١٩٠ ـ ١٩١ / .

﴿ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩) وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠) بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣) قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾[1].

فهذا الإنسان الذي أصبح محبوباً من ربه سبحانه ، بعد أن اصطفاه واجتباه، وقَرَّبه لمناجاته وأنْسه، هو الذي قصده في الحديث القدسي الذي رواه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه تبارك وتعالى أنه قال:

« مازال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحِبَّهُ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ورجله التي يمشي بها، ويده التي يبطش بها. فإذا جاءني ماشياً جئته هَرْوَلَةً »[2]. وزاد في رواية أخرى قوله، « وإذا تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً ».

## أساس هذه الصلة:

بعد هذا الكلام عن الصلة بالله ومعانيها، وبيان كيفية تحققها، لابد أن نعرف القاعدة التي ترتكز عليها هذه الصلة. وأن نعرف أيضاً الدعامة الأولى

---

(١) سورة : الانعام. الآيات : / ٩٥ - ١٠٤ / .

(٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه. والمقصود من ( الهَرْوَلَة ) في هذا الحديث القدسي هو: سرعة استجابة الله لنداء عبده المؤمن التقي. وتحقيق طلبه في دعائه لربه.

التي يكون بها قوامها وصلاحها ودوامها.

إنها صلة تقوم على أساس من العقيدة الراسخة، والإيمان بالله، إيماناً تاماً صحيحاً، لا تشوبه شائبة من إشراك أو وثنية. ولا ضلال ولا انحراف، ولا خرافة ولا ابتداع، وعندها تقرربكل تأكيد وصدق:

إن الله العلي الكبير، موجود، واحد أحد، وقائم بذاته، ومعبود دون سواه، لاشريك له في ملكه وملكوته، بيده تصاريف الأمور وتقديرها، وإليه يرجع الأمر كله، وإليه المصير، وهو على كل شيء قدير، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، ومحيط بكل شيء سبحانه ، وإنه واسع عليم. لا يحده زمان ولا يحصره مكان، وكان ولاشيء معه، قديم ولا يزال مُنَزَّهاً عن الشبيه والمثال، فَرْدٌ صَمَدٌ: ﴿**هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾(١)

## كيف حصلت هذه المعرفة؟:

وإذا ما تساءل الإنسان: هل حصلت هذه المعرفة بالله اتفاقاً، أوبمحض الصدفة؟ أم أن الإنسان قد مرَّ بمراحل في تفكيره بحث خلالها عن ربه تبارك وتعالى، حتى استطاع أن يهتديَ إلى ربه سبحانه عن طريق تحقيق العلم بوجوده، والتماس آثار هذا الوجود لله، لأن هذه الدعوة قائمة على تحكيم العقل في هذا الإيمان فنقول:

لقد مرّ على الإنسان حين من الدهر في الزمن القديم ألَّهَ فيه الطبيعة، وألَّه البشرَ، واتخذ من المال سلطاناً إلهيّاً، ومن السيطرة والتسلط والملك وسيلةً لأن

(١) سورة: الحديد . الآية : / ٣ / .

يؤلّه نفسه. لأنه ما من إنسان ـ قديماً كان أو حديثاً ـ إلا وفي قلبه بذرة الإيمان، وفي نفسه جنوح إلى حياة تتوفر فيها الطمأنينة والهدوء والراحة النفسية، ليتخلص من أتعابه، وما يلاقيه في حياته من مصائب وويلات ومحن.. ولا ملجأ منها إلا اللجوء إلى ذلك الوازع الديني المعتمل في القلب. لأن الإيمان حقيقة أصلية في قلب الإنسان. والكفر والإنحراف شيء طارئ عليه.

لذلك: اتجه فريق من الناس إلى عبادة الطبيعة، وما فيها من أشجار وأنهار وحيوانات ونار.

وفريق ثانٍ: عبد الكواكب من :شمس وقمر ونجوم.

وفريق ثالث: استغل الظروف المناسبة، واستخدم زعامته أو رئآسته للناس فدعاهم إلى عبادته.

وفريق رابع: اتخذ من الأصنام والأوثان آلهة يعبدها، لا لأنها آلهة قائمة بنفسها، بل لأنها تقربهم إلى الله زلفى. وهكذا...

إن القصص لهؤلاء قد حدثنا عنها القرآن الكريم، فأوضح لنا هذه الجوانب النفسية للأمم القديمة، وأبان لنا أيضاً، أن الإنسان المفكر الذي آتاه الله نصيباً من العلم والمعرفة، ورجاحةً في العقل، وسداداً في التفكير كان ينتقل فكره في البحث من إله إلى آخر، محاولاً أن يصل إلى الحقيقة المثلى التي ينشدها، وليصل بعد ذلك إلى معرفة الله رب العالمين، وخير مثال على ذلك قصة النبي (إبراهيم) عليه السلام.

## قصة النبي إبراهيم عليه السلام:

وما أدل على ذلك من قصة النبي (إبراهيم) عليه الصلاة والسلام، لما

أنكر على أبيه (آزَرَ) عبادة الأصنام، ووصفه وقومه، بأنهم في ضلال مبين.

فذهب (إبراهيم) يبحث عن ربه سبحانه وتعالى ، وذلك: استدراجاً، لقومه، وتنفيراً لهم من عبادة باطلة غير معقولة، ليصل بهم إلى إقناع عملي يوجب عبادة الله الواحد الأحد، والإيمان به سبحانه. فكان تسلسل خطواتها كما جاء في قوله تعالى:

﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٧٤) وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ** ﴾ (١)

فبَّين لهم أنه بعد أن فكر في هذه الكواكب، ولم يقتنع بواحدة منها على أنها إلهه الذي ينشده، ويسعى لمعرفته وعبادته أسلم بعد ذلك قياده لله، واتجه إليه بكُلِّيَته متبرئاً من تلك الآلهة التي اتخذها قومه أرباباً من دون الله . وقال كما نزل في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ **إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾(٢) فأنكر عليه قومه هذا التوجه والتسليم للذي فطر السموات والأرض، بعد أن تبرأ من إشراكهم وآلهتهم فقال الله تعالى:

﴿ **وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَكَيْفَ**

(١) سورة الانعام: الآيات / ٧٤ ـ ٧٨ / .

(٢) سورة : الانعام. الآية : / ٧٩ / .

**أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢) وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾**(١).

لهذه فإن الإنسان محتاج دائماً إلى عقيدة الإيمان بالإله الواحد. هذه العقيدة التي تحرره من أسر تلك الوثنية، وتطلق قياده، ليمتلك زمام أمره وتفكيره وحريته، حتى تكون له شخصية ظاهرة متميزة، ذات مواهب زكية، واستعدادات لتحمل المسؤوليات الفكرية والعقائدية الكبيرة التي حَمَّلَهَا الإسلام للإنسان المسلم.

ولكن الناس قديماً كانوا شيعاً متفرقين، لكل فريق إله يعبده، وصنم يتمسح به، ولكل فريق وجهة نظر في معبوده، أو صنمه، يتمسك به إلى درجة التعصب الشديد لما وَجَّهَ قلبه إليه. وفي هذا التعدد في الآلهة فساد لنظام الحياة العام، وسبب لتفكك المجتمع، وخسران لسعادة الدنيا، وحرمان من نعيم الآخرة.

ولقد أعاب القرآن الكريم هذا التعدد، وأنكر عليه أشد النكير، عندما قارنه بوجود الإله الواحد، فقال تعالى: ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾ (٢).

ولو كان هناك إله غير الله لتعدَّد الفساد، واضطرب النظام في الكون، في

---

(١) سورة: الأنعام. الآيات: / ٨٠ ـ ٨٣ /.

(٢) سورة: يوسف. الآية: / ٣٩ /.

السموات والأرض، فلا يعقل أصلاً أن يكون هناك إلهان، يتمتع كل منهما بكامل القدرة والعظمة، والجبروت والغلبة، ولا بد من الاختلاف بينهما في وقت من الأوقات، وإذاً لأدَّى اختلافهما إلى هلاك السموات والأرض وفسادهما.

فقال تعالى نافياً نفياً باتاً تعدد الآلهة، وبكل بساطة ووضوح، فقال الله تعالى: ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣) أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ (٢٤) وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾[1].

هذا وبعد أن رأينا مراحل التفكير التي مَرّ بها الإنسان باحثاً فيها عن ربه تبارك وتعالى، كما حدثنا عنها القرآن الكريم في شخص النبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام، الذي لم يقتنع بالكواكب التي تنتقل ما بين طلوع ومغيب، حتى أعلن براءته مما وقع فيه قومه من إشراك. كما أعلن تَوَجُّهَهُ ـ بكل جرأة وشجاعة، وإرادة وحرية ـ لله الذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً.

لا بد بعد ذلك من أن نعرف مرحلة التفكير العقائدي عند العرب قبل الإسلام، في بحثنا الآتي. فتابع في قراءتك لما كتبتُ في هذا الكتاب.

---

(١) سورة: الانبياء. الآيات: / ٢٢ ـ ٢٥ /.

# ٢ ـ مرحلة التفكير العقائدي عند العرب قبل الإسلام

لم يكن العرب في شبه الجزيرة العربية متحدين قبل الإسلام، بل كانوا منقسمين شيعاً وأحزاباً، وقبائل متناثرة هنا وهناك، لا تجمعهم رابطة. وكل إنسان منهم له وجهه نظر في التفكير، وله معتقده الخاص به.

فالعرب وإن كانوا يتمتعون بكثير من المزايا الحميدة ومكارم الأخلاق، والغيرة والشهامة والكرم، والمحافظة الشديدة على الأعراض.. وغير ذلك كثير من أمهات الفضائل، مما كان يجعلهم في مرحلة ا لتدرج والتهيؤ لتقبل رسالة الإسلام ودعوته إلى الله. ولكن أخذت العصبيَّة والحميّة الجاهلية عقول البعض الكثير منهم فأصمتهم عن سماع دعوة الحق، وأعمت أبصارهم وبصيرتهم، وهذا الانقسام في المجتمع العربي قبل الإسلام ناتج عن عدم وجود أهم عامل وأقوى رابطة في توحيد الأمم، ألا وهي: العقيدة الصحيحة، فلم تكن قد تمت آنذاك عندهم ـ قبل الإسلام ـ عقيدة واحدة، بل كانوا مختلفين فيها، ومتباينين في اتجاهاتها. وهذا ما سنراه فيما يلي:

**أ ـ قسم منهم أنكروا وجود الله:** واعتبروا أن وجودهم في الحياة وموتهم فيها إنما يحدثان بفعل الدهر. فتحدث القرآن الكريم عنهم في قوله تعالى:

﴿ **وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا**

لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ (٢٤) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢٦) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾(١).

## ب ـ والقسم الثاني من العرب:

آمنوا بوجود الله، وأنكروا مجيء يوم القيامة الذي فيه يبعثون، ويتهمون من يقول: بالبعث والنشور بقول السحر. فقال الله تعالى عنهم:

﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾(٢).

ولم يكتف هذا الفريق من جاهليي العرب أنهم أنكروا البعث يوم القيامة، بل كانو يوغلون في الإنكار. قال تعالى:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٣٨) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾(٣).

وهذا ناتج عن استغرابهم في أنهم سيبعثون خلقاً جديداً يوم القيامة بعد أن تصبح عظامهم نخرةً، ورفات أجسامهم بالية، وكانوا يستبعدون إحياءهم

(١) سورة: الجاثية. الآيات: / ٢٤ ـ ٢٧ /.

(٢) سورة: هود. الآية: / ٧ /.

(٣) سورة النحل. الآيتان: / ٣٨ ـ ٣٩ /.

ليعودوا ثانية، كما كانوا في الحياة الدنيا.

ولهذا يقول سبحانه متحدثاً عنهم:

﴿ وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا (٥١) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(١).

## جـ ـ والقسم الثالث:

آمَنُوا بالله، وإنه موجود، كما آمنوا بالحياة الأخرى، ولكنهم أنكروا الرسل والرسالات، ولم يصدقوا بالكتب التي بين أيديهم على أنها من عند الله.

فقال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٤٣) وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾(٢).

وكلما دعاهم النبي ﷺ إلى التوحيد استكبروا. فقال الله تعالى عنهم:

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (٣٦) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (٣٧)

---

(١) سورة: الإسراء: الآيات: / ٤٩ ـ ٥٢ / .

(٢) سورة: سبأ: الآيتان: / ٤٣ ـ ٤٤ / .

﴿ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الأَلِيمِ (٣٨) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١).

وقد أخذهم العجب أن جاء منهم رسول نبي . أتاهم بعقيدة التوحيد، ورسالة الإسلام والإيمان. فأخذوا يكيلون له أنواع التهم والأباطيل. فقال تعالى: ﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤) أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ (٧) أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ (٨) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (٩) أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ (١٠) جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الأَحْزَابِ ﴾(٢).

والرسول ﷺ لم يقنط من قبولهم دعوته، ولم يَأْلُ جهداً أبداً، ولكنهم مع ذلك كانوا يزدادون إصراراً على العناد، والاعراض عنه وعن دعوته. قال تعالى:

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (٥) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٧) ﴾ (٣).

ومما تجدر به الملاحظة أن هذا القسم الثالث من العرب ينقسمون كذلك إلى قسمين:

(١) سورة: الصافات . الآيات : / ٣٥ ـ ٣٩ / .

(٢) سورة : ص . الآيات : / ٤ ـ ١١ / .

(٣) سورة : فصلت. الآيات : / ٥ ـ ٧ / .

## ١ ـ قسم يعتقد بالملائكة ويعتبرهم إناثاً لله:

لقد اعتقد قسم من العرب أن الملائكة إناث لله تعالى، وأن الذكور لهم، فقال تعالى منكراً عليهم هذا الزعم والاعتقاد في آيات متعددة في عدد من سور القرآن الكريم منها:

أ ـ ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا ﴾(١).

ب ـ ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴾(٢).

جـ ـ ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾(٣).

د ـ ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾(٤).

هـ ـ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنثَىٰ (٢٧) وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (٢٨) فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴾(٥).

---

(١) سورة: الإسراء. الآية: / ٤٠ / . (٢) سورة: الصافات. الآيتان: / ١٤٩ ـ ١٥٠ / .
(٣) سورة: الزخرف. الآية: / ١٩ / . (٤) سورة: النجم. الآيتان: / ٢١ ـ ٢٢ / .
(٥) سورة النجم. الآيات: / ٢٧ ـ ٣٠ / .

## ٢ ـ وقسم يعتقد بالأصنام:

« يعبدونها على أنها وسائل وشفعاء عند الله، وهم دهماء العرب »[١] وقال ( ابن الكلبي ) : « كان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه، فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع في منزله أنه يتمسح به . وإذا قدم من سفره كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به أيضاً[٢]. ويقول الشيخ عفيف طبارة في كتابه « روح الدين الإسلامي » ما نصه :

« هذا وقد كان من أهل مكة في الجاهلية من يؤمن بالله واليوم الآخر، وينتظر أن يبعث الله رسولاً للناس، وكانوا أفراداً يعدون على الأصابع . ثم إن من العرب من كان يهودياً أو نصرانياً، ومنهم من كان يصبو إلى الصابئين ويعتقد بالأنواء »[٣].

## أصنام العرب:

وأما أصنامهم فقد ذكر القرآن الكريم والسيرة النبوية بعض أسمائهم وهي : اللات . والعُزَّى، ومناة، وودّاً، وَسُوَاعَاً، ويَغُوثَ، ويَعُوقَ، ونَسْرَا، ونائلة، وإساف، وهُبَل، وغيرها .

قال الله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾

---

( ١ ) كتاب : روح الدين الإسلامي : عفيف طبارة ص / ٦٣ / .

( ٢ ) كتاب الأصنام . ابن الكلبي . ص / ٣٣ / .

( ٣ ) روح الدين الإسلامي . عفيف طبارة . ص / ٦٣ / ايضاً.

﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (٢٢) إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ (٢٣)﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً﴾(٢).

وقال أيضا: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٣).

## تأليه البشر:

لقد سبق أن ذكرنا في معرض الكلام عن المراحل التي مرت بها العقيدة أن الإنسان في عصور التاريخ القديم قد ألَّه البشر، مثال ذلك: أن ملكاً من ملوك الفراعنة في مصر قد دعا الناس إلى أن يعبدوه. وقد تحدث القرآن عن فرعون هذا، فقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾(٤). وكان يفرض آراءه وتوجيهاته فرضاً على الناس؛ قال الله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾(٥).

---

(١): النجم. الآيات / ١٩ - ٢٣ / .
(٢) سورة: نوح. الآيتان / ٢٣ - ٢٤ / .
(٣) سورة: يونس. الآية: / ١٨ / .
(٤) سورة القصص. الآية: / ٣٨ / .
(٥) سورة: غافر. الآية / ٢٩ / .وتسمى هذه السورة أيضاً بسورة المؤمن.

فكانت عاقبة أمره الهلاك. ولذلك ختمت سورة القصص التي اسْتُعْرِضَتْ فيها قصةُ فرعونَ بهذه الخاتمة الرائعة:

﴿ وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾(١).

## العقيدة عند الإنسان الحديث:

فيقول أستاذنا الجليل، والمربي الكبير محمد المبارك (عليه رحمة الله):

«إن الإنسان الحديث بعد أن حطم تلك الأصنام القديمة، اتخذ من نفسه صنماً جديداً، فانطلق عملاقاً شيطاناً. تتراءى له أهواؤه وشهواته في مرآة عقله، فيقدسها ويتخذ منها إلهاً يعبده، فيزداد تردِّياً وانحطاطاً.

لقد ازداد علماً فازداد غروراً، ولم يردعه عقله، بل أعانه على الظلم والطغيان، وتبرير الشهوات والمظالم، فقد ظن عقله وهو الأداة المكتشفة صانعاً مبدعاً. وأخذ من الطبيعة واكتشف قوانينها، فقلدها وخضع لها، فظن نفسه خالقاً، وليس هو في الحقيقة إلا مقلداً ومقتبساً.

إن الإنسان الحديث في حاجة من جديد إلى من يحرره من نفسه ليعرفها، وإلى من يعرفه حدوده، ويضبط نزواته ويسدد خطاه، ويوجه إلى الخير قواه، ويخرجه من التنافس إلى التعاون، ويجعل ضميره المتردي متناسباً مع صرح علمه الشامخ، وقلبه الفاسد مع عقله، واخلاقه مع قدرته، وغاياته مع وسائله...

هذه هي المشكلة اليوم، انتهت من حيث بدأت قديماً، ولم يتغير إلا مظاهرها وأشكالها... ولن تُحَلَّ المشكلة حلاً جذرياً عميقاً بأي تنظيم

(١) سورة: القصص. الآية / ٨٨ /.

مادي، أو تربية أخلاقية، إلا إذا وصلت الحضارةُ أسبابها بالله... وإلا عادت إلى الإيمان بالمسؤولية أمام الله في الحياة الآخرة»(١)

قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ** ﴾(٢).

**وقال أيضاً:** ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾(٣).

ويقول أستاذنا الكريم: المبارك - بعد أن خاطب الملوك والرؤساء والأغنياء، والناس جميعاً:

**والصلة الوحيدة الباقية:**

«هي التي بينك وبين مَنْ خلقك فسوّاك فَعَدَلَك، في أي صورة ما شاء ركبك... إن أولى صفاتك بالرعاية والتقوية والتنمية والتزكية هي صفتك الأصيلة الباقية، هي إنسانيتك، وإنما تكون تصفيتها وتقويتها بإزالة ما بينها وبين بارئها وفاطرها من عوائق. فإن مصيرك إليه، وحسابك الأخير معه، بعد أن ينتهي حسابك مع رعيتك ورؤسائك ومرؤوسيك.

إن القضية ليست في أن تؤمن بوجود الله في عقلك، ثم تترك هذه العقيدة، وكأنها إحدى المعلومات التي تعلمتها وأضفتها إلى غيرها من معلوماتك.

---

(١) «نحو إنسانية سعيدة». محمد المبارك. ص / ٧٩ - ٨٠ / .

(٢) سورة: لقمان. الآية / ٣٣ / . (٣) سورة: يونس. الآيتان: / ٧-٨ / .

إن هذه العقيدة لا تنتج ولا تثمر إذا بقيت نظريةً في الفكر، وفلسفةً يقلبها العقل بين يديه ويناقشها ثم يقبلها. إنها لا تؤتي ثمارها في الحياة إلا إذا كانت ماثلة في الذهن، حاضرة في النفس، حية في القلب، تنبض بها العروق، وتتحرك بها الإرادة والجوارح...»[1].

وبعد أن يرى - يا قارئي العزيز - عدم النفع من نظريات أرسطو، وآراء أفلاطون التي لم تعد قادرة أن تغير شيئاً من معالم المجتمع، أو الحضارة الإنسانية، لأنها كانت في الماضي آراء ينتهي بها العقل البشري عندما يناقشها. يقول متحدثاً - رحمه الله - عن العقيدة الصحيحة التي جاء بها القرآن الكريم:

«**وأما العقيدة التي جاء بها القرآن:** وهي عقيدة الإيمان بالله الواحد رب العالمين، وبالحياة الأخرى وحسابها، فقد كانت قوة فعّالة محركة، غيَّرت مجرى التاريخ، وبدَّلت معالم الحضارة، وأحدثت في حياة الإنسانية الاجتماعية والفكرية انقلابات رائعة، ونشرت مفاهيم جديدة للحياة. وأقامت على أساسها حضارة إنسانية رائعة؛ كان القرآن دستورَها، والعربيةُ لغتَها، ومبادئُ المساواة والعدل والإنسانية أسسَها.

ذلك أن الإسلام أبرز في الإنسان صفة الإنسانية.. وتلك الصفة المشرفة هي التي تتجلى فيها خصائصه الكريمة، ومزاياه الأصيلة هي كونه: عبداً لله».[2]

**عزيزي القارىء:**

وبعد هذا الاستعراض لمراحل الفكر البشري المتطور من الناحية العقائدية،

---

(١) «نحو إنسانية سعيدة». محمد المبارك. ص / ٧٩ - ٨٠ / . (٢) نفس المصدر السابق.

لابد أن نتكلم أخيراً عن عقيدة الإسلام التي جاء بها القرآن الكريم والمعروفة: بعقيدة التوحيد.

## عقيدة التوحيد:

فنقول: إن التوحيد الخالص لله، هو القاعدة الأساسية، والدعامة الأولى للعقيدة الإسلامية التي يجب على كل مسلم أن يعتقد بها في قلبه وعقله، وينطق بها لسانه. معترفاً دائماً وأبداً. بقوله: لا إله إلا الله محمد رسول الله

فهذه شهادة من المؤمن يعترف بها بلسانه عن علم وإدراك ويقين، بعد أن انعقد ذلك في قلبه، أن لا معبود بالحق في هذا الوجود إلا الله. وهذه شهادة عدالة صادقة بوجود الله تعالى وبوحدانيته وألوهيته وربوبيته.

وهي أيضاً شهادة بأن الرسول محمداً عليه الصلاة والسلام إنما هو رسول من الله ونبي، أرسله الله إلى الناس كافة، وأرسله بهذه الدعوة ليبلغها بصدق وأمانة كما أنزلها الله. فالعقيدة الإسلامية: تقوم على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر.

ولكن الإيمان بالله تعالى هو ركنها العظيم، وأصلها الأول الذي يستقر في نفوس المؤمنين وفي قلوبهم وعقولهم وأفكارهم وأرواحهم. وتؤكده أعمالهم وجوارحهم للبرهنة على: أن الله تعالى موجود قائم بذاته سبحانه وتعالى. وقد جاء في خواتم بعض السور ما يدعم ذلك ويؤيده، منها مثلاً قوله تعالى:

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢)

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(١).

وقال الله تعالى أيضاً:

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(٢).

ومن الآثار العظيمة التي ذكرت في القرآن الكريم، لكي ينظر الإنسان فيها ويتدبر معانيها، ليستدل بها على وجود ربه وخالقه، وليحكم الصلة معه سبحانه وتعالى، مثل قوله عز من قائل:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٣).

تُرَى، إنّ هذه الايات الكريمة وأمثالها الكثيرة التي نزلت في القرآن تجعل الإنسان المفكر، الذي ينشد الحقيقة على يقين تام، وتصديق لا يتطرق إليه أدنى شك، يُؤْمِنُ بأن الله العظيمَ موجودٌ، ولابدَّ من إحكام الصلة معه. ثم

(١) سورة: الحشر. الآيات: / ٢٢ ـ ٢٤ / .

(٢) سورة: الأنعام. الآيتان: / ١٠٢ ـ ١٠٣ / .

(٣) سورة البقرة. الآية: / ١٦٤ / .

ترى أيضاً، إن الإنسان يرقى من درجة إلى درجة ، ويرتفع من منزلة إلى أُخرى أرفع منها وأعلى حتى يصل إلى مقام القُرْبِ من ربه تبارك وتعالى بتوفيق الله له . بعد أن امتلأ قلبه إيماناً وخشية. فقال العزيز الحكيم:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾(١).

(١) سورة : الأنفال . الآيات: / ٢ ـ ٤ / .

## ٣ ـ الغاية من هذه الصلة

إن الغاية من إحكام صلة الإنسان بربه في وجوب الاعتقاد بوجوده ووحدانيته سبحانه وتعالى، ووجوب طاعته وعبادته في تنفيذ أوامره، واجتناب نواهيه، من وجهة نظر كتاب الله العزيز الحكيم، وكذلك من وجهة نظر سنة النبي الأمين محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم هي في رأينا تهدف إلى مايلي:

### ١ ـ تربية الضمير تربية عقائدية :

إن استجابة الإنسان لربه، تكون حَدّاً فاصلاً بين المرء وأهوائه وشهوات نفسه ومغرياتها، لأنه قد أسلم قياده لله، واستعد في كل لحظة لتنفيذ كل ما أمر الله به أن يوصل، ويطبقها على نفسه، ويبقى بشراً سوياً. في منزلة رفيعة أكرمه الله بها،ومنحه إياها تفضلاً منه سبحانه ورحمة به.

إن هذه الاستجابة لأوامر الله، والتفويض له قد نشأت عن طهارة القلب، وصفاء النفس، وسمو الروح، ونقاوة الضمير. فأصبح الإنسان يقول باعتقاد حسن وجميل. كما قال الله تعالى﴿ **وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** ﴾(١) بل ويقول أيضاً: ﴿ **وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** ﴾(٢).

---

(١) سورة : المؤمن. الآية : / ٤٤ / . علماً بأن سورة: (المؤمن) تسمى أيضاً سورة : (غافر).

(٢) سورة: هود. الآيات : / ٨٨/ .

فهذا الضمير الذي تربى على التربية الإسلامية، والإنسانية الصحيحة، لا يَفْتَأُ يتوجه كل يوم مرات عديدة، يأمر صاحبه بأن ينطلق لسانه ويقولُ بقولِ ربه تبارك وتعالى:

﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٤) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١).

## مقارنة بين ضميرين:

فلو قارنا مابين ضميرين لرجلين مختلفين. ضميرٍ معمورٍ بالتقوى والإيمان والعقيدة الجيدة، وضميرٍ خاوٍ من العقيدة. لوجدنا بعد التحقيق المستمر والدراسة المتفحصة أن الفرق شاسع بينهما، وشتَّان بين الضميرين:

**أ ـ فالضمير المعمور بالتقوى والإيمان:** يحاسب صاحبه على الصغير من الأمور، كما يحاسبه على الكبير. ويراقب أقواله وأفعاله، فيدله دائماً على الخير، ليسير في هذه الحياة على درب الهدى والاستقامة، كما أمره الله

(١) سورة: الانعام. الآيات / ١٦١ـ١٦٥ /.

تعالى بقوله: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾(١).

**ب ـ وأما الضمير الخاوي من العقيدة**: ولم يعرف الإيمان سبيلاً إلى قلب صاحبه، فهو كَجَرَّةٍ أصابها التَّصدع من كل جانب، فأُلْقِيَتَ في قارعة الطريق، تتقاذفها أرجل المارَّة، فكلما دحرجتها قدم إنسان ازداد انكسارها، وقل اعتبارها. وهناك من قال من الفلاسفة في وصف هذا الضمير: «إن ضميراً بلا عقيدة بالله كمحكمة بغير قاضٍ».

## ٢ ـ الحصول على السعادة النفسية:

إن الصلة بالله إذا كانت خالصة من كل شائبة، بعيدة عن كل نقص، تجعل الإنسان يشعر بالسعادة النفسية التي هي الثمرة الأولى لهذا الاتصال.

فمن السعادة ما يحصل للإنسان في الحياة الدنيا، فيتمتع بذلك النعيم الروحي والنفسي.

ـ ومنها ما يحصل له في الحياة الأخرى كنتيجة لعمله الطيب الصالح الذي ينال عليه الجزاء والعطاء والمكافأة من الله تعالى، ويحظى بالنعيم المقيم. لكن هذا النعيم والسعادة الأخروية، تجمع بين السعادة الحسية المادية، والسعادة الروحية المعنوية.

فتعالَ معي ـ أيها القارئ الكريم ـ لنرى توضيحاً لهذا الكلام:

**أ ـ سعادة الإنسان في الدنيا:**

إن المؤمن الذي يكون دائم الصلة بربه يعتقد اعتقادا جازماً بأن الله تبارك وتعالى موجود. وهو إله يستحق العبادة. وله من الفضل العميم مالا يقع في

(١) سورة: هود. الآية / ١١٢ /.

حصر عقل الإنسان. وأنه جلّت قدرته، هو العليم الخبير، مطلع على الإنسان في خفيّه وجليّه، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، لا يتحرك متحرك ولايسكن ساكن إلا بأمره، له الأمر مِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ.

إن هذه الصلة بالله أصلها: التقوى. وفرعها: الإخلاص. وحاصلها وثمرتها: الوصول إلى مقام الاختصاص، ومنزلة المقربين المصطفين الأخيار. لأنه لا يَعْزُبُ عن ربنا سبحانه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. إليه المرجع والمآل والمصير.

يتجه بعد ذلك الإنسان المؤمن إلى الله، بالحمد والشكر، والذكر والتسبيح، لما منحه من الحرية التي أصبح يمارس فيها عقيدته بعد أن انطلق من أسر الطبيعة، وحطم قيود المتألّهين من البشر، والجبارين في الأرض، فلم يبق لأحد سلطان عليه، بل إن الذي يضر وينفع إنما هو الله وحده.

لذلك، أمر الله العلي الكبير ـ وهو القاهر فوق عباده ـ نبيَّه محمداً عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم أن يخبر قومه والناس جميعاً بهذه الحقيقة الثابتة في القرآن الكريم بقوله: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾(١).

ولقد خاطب النبي ﷺ: عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنه ـ خاصة، ويستفاد من توجيه هذا الخطاب وإرشاداته أنه موجه أيضاً للمسلمين عامة،

(١) سورة: الزمر. الآية: / ٣٨ /.

ولكل إنسان يتميز بالفتوة والحيوية والقوة والشباب . قال:

« يا غلام : احفظ الله يحفظْك، احفظ الله تجده تجاهَك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الناس لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لا يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك. ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لا ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك. رُفِعَت الأقلامُ وجَفَّت الصحف »(١). وفي رواية أخرى: « .. واعلم أن الأمة لو اجتمعت..» .. إلخ

ويحصل للإنسان الاطمئنان في الحياة، والقناعة في العيش، إذا ما اعتقد أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، وأنه يرزق من يشاء بغير حساب، وهو الذي يعطي ويمنع، قال تعالى: ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾(٢).

وقال تعالى أيضاً:

﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا** ﴾(٣).

وكذلك يشعر الإنسان بالسعادة النفسية في الدنيا، لما يتمتع به من شجاعة في القلب، وفصاحة في اللسان والنطق بالقول الحق، وحصافة الرأي، وسعة

---

(١) « رياض الصالحين » للإمام النووي، رواه الترمذي. من رواية ابن عباس. وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) سورة: آل عمران . الآيتان : / ٢٦-٢٧ / . (٣) سورة: الطلاق. الآيتان : / ٢ - ٣ / .

الصدر والحلم، وحدة في الذكاء، ودقة في الفهم، وغزارة في الثقافة والعلم.

لأن القوة المبنية على الشجاعة العادلة الموصوفة بالرحمة والرأفة هي من أبرز صفات المؤمنين الصادقين، الصامدين في وجه الباطل، المحطمين عنفوان كل متكبر، القاهرين لكل جبار عنيد. قال الله تعالى يصف رحمة المؤمنين فيما بينهم، وشجاعتهم على عدوهم: وفي هذا يقول الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ وعن أصحابه الكرام، في تنزيله الحكيم:

﴿ **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾(١).

فهي قوة دافعة نافعة عادلة ، وشجاعة محببة وَجِهَادٌ. لذلك يقول: القائد القوي العادل، والشجاع البطل المجاهد، نبيُّ الأمة ورسول الله إلى العالمين، محمد عليه الصلاة والسلام :« المؤمن القوي، خيرٌ وأَحَبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كُلٍّ خيرٌ احرصْ على ما ينفعك، واستعنْ بالله ولا تعجزْ، وإن أصابك شيء فلا تقل؛ لو أني فعلت ، كذا كان كذا، ولكنْ قلْ : قَدَّرَ اللهُ وما شاء فعل، فإن (لَوْ) تفتح عمل الشيطان »(٢).

---

(١) سورة: الفتح . الآية: / ٢٩ / .

(٢) (رياض الصالحين) : للإمام النووي. رواه : مسلم من رواية: أبي هريرة رضي الله عنه.

## ب ـ سعادة الإنسان في الآخرة:

وينتج عن الشعور بالسعادة في الدنيا ـ كما مرّ معنا ـ شعور آخر هو شعور الإنسان بسعادة أخرى، في حياة ثانية يوم القيامة، ولمّا يفوز بالحسنى وزيادة، ويكون من الناجين من عذاب الله يومئذ، ومن المقربين في حضرة قدسه، والمقيمين في النعيم، تحت ظل عرشه جَلَّ جلاله، يوم لاظل إلا ظله، في مقعد صِدْقٍ عند مليك مقتدر.

لأن الذي يهب الحياة والموت هو الله وحده، وبذلك ترتفع نفس المؤمن المتصل بربه، أنفةً وإباءً وعزةً، لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، فلا يناله ضيمُ ظالم، ولا يلحق به تعَسُّفُ معتدٍ أثيم. بل ينطلق وكأنه شهابُ فيه: نَارٌ ونُورٌ.

ـ **نار:** تحرق الظلم والظالمين، وتشوي وجوه الكافرين والملحدين والمتكبرين. وكل الطُّغاة الغاشمين.

ـ **ونور:** يسطع ضَوْؤُهُ في أعين السائرين، ينير لهم طريق الهدى والحق والدين، ليسلكوا أعدل السبل، وأوضح المسالك، ويطبقوا أصلح الشرائع، ويتذوقوا طعم العقيدة الصحيحة، بالعمل والعلم والتعلُّم، وينهلوا من منبع الإسلام الصافي، ومورده العذب، الذي يجدونه دائماً ريّاناً ملآناً، لا ينضب مَعينُ عَيْنِ مَائِه، ليرتقوا إلى أعلى الدرجات، وليصلوا إلى غاية الغايات، خالق الأرض والسموات، ومن فيهنَّ وما بينهنَّ، ليصلوا إلى الله تعالى رب العالمين.

# تمهيد للدخول في الفصل الثالث

إن موضوع رسالتنا هذه «صلة الإنسان بالله» يستوجب معرفة هذه الصلة القائمة بين العبد وربه. وقدأتينا على معانيها، وكيف تتحقق، بعد أن عرضنا الأساس الذي تقوم عليه، ثم عرَّجنا في الكلام على المراحل التي مرّت بها العقيدة خلال عصور التاريخ، ومرّت على الإنسان الذي مافتئ يبحث فيها عن ربه حتى اهتدى بهديه إليه سبحانه وتعالى. فحصلت له السعادة النفسية والروحية، وتربية الضمير تربيةً عقائدية سامية. وأوضحنا قبلها حاجة العالم اليوم إلى عودة للحياة الروحية السليمة، والتزود من معارفها وثقافتها، وتحقيق أهدافها النبيلة. وبيّنا مهمة الدين في الموضوع، مستدلين بدلائل من مصادره الغنية، ومميزاته الطيبة الجميلة التي اتصف بها دين الإسلام.

بعد ذلك: يجدر بنا أن نتكلم عن بعض الوسائل أو الواسطة والرابطة، والتي تتم عن طريقها تلك الصلة بين العبد وربه، تدعمها العوامل والشواهد الكثيرة، التي يجب أن تتوفر لدى الإنسان، حتى يحسن صلته بالله، ولتكون خالصة لوجه الله، كما يريدها الله تبارك وتعالى، وكما علَّمنا إيّاها محمد رسول الله ﷺ.

قال أحد الشعراء[1]:

أَسْعَى لِخَلاَقِي وَأَقْصِدُ وَجْهَهُ ... وَعَنِ المَسِيرِ إِلَيْهِ لَنْ أَتَخَلَّفَا

يَامَالِكاً رُوحِي وَمَانِحَهَا الهُدَى ... أُنْظُرْ إِلَيَّ فَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ عَفَا

إِنْ قِيلَ مَنْ ؟ قُلْتُ أَمْرُؤٌ فِي رَبِّهِ ... سَاعٍ وَهَذَا فِي انْتِسَابِي قَدْ كَفَى

لاَ وَالَّذِي غَمَرَ العِبَادَ بِفَضْلِهِ ... إِنِّي بِغَيْرِ اللهِ لَنْ أَتَشَرَّفَا

فتعال معي ـ أيها القارئ الكريم ـ نلتمس هذه الوسائل في الفصل الثالث:

(١) لم أقف على اسم الشاعر قائل هذه الأبيات الأربعة. فمن عرف اسمه وأرشدنا إليه، فله شكرنا الجزيل ـ المؤلف ـ